حول مقال :

الأزهر والاصلاح

للأستاذ سليمان دنيا

قرأت فى العدد ٧٨٦ من مجلة الرسالة الغراء ، مقال الأستاذ الفاضل محمود الشرقاوى ، تحت هذا العنوان ؛ واعتقد أن كل من قرأ هذا المقال القيم قد أحس بروح الكاتب القوية تفيض غيرة على الأزهر ، وحرصاً على أن يأخذ هذا المعهد العتيق حظه اللائق به ، ويتبوأ مكان الصدارة فى هذا الوجود .

واعتقد أيضاً أن حياء الأستاذ الشرقاوى الجم ، الذى هو خلق أصيل فى طبعه ، هو الذى جعله يحسب للقراء من الأزهريين كل هذا الحساب ، حتى افترض على ألسنتهم كل هذه الاعتراضات وظن أن كل جملة فى مقاله ، بل كل كلمة وكل حرف ، سيسأل عنها بـ « ماذا ، وله » .

ولكنه رغم كل هذا الحياء المتأصل فى طبعه ، ورغم توقعه أن يسأل عن كل حرف فى مقاله بـ « ماذا ، وله » ، لم يطق صبراً على الصمت ، وفى نفسه لواعج الغيرة تحتدم ، وتوازع الشوق الملح إلى إصلاح الأزهر تضطرم ، فأرسلها عالية مدوية ، صريحة معلنة « إن الأزهر لم يصلح ، وإن بينه وبين الإصلاح شأوا بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً » و « ... إن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر حديث لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد » .

ولعل الأستاذ الشرقاوى مبالغ فى كل هذا الحذر ، وفى اعتقاده أن كلماته الواضحة الصريحة التى تفيض إخلاصاً وغيرة ، ستصرف عن ظاهرها ، وسيطلب لها سر باطن ، مثال فى حكمه بأن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد ، من قريب ولا من بعيد ؛ فمن الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح فى الأزهر ؛ يجاهدون ما وسعهم الجهد ، لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة ، ولست أدعى أنهم نجحوا فى محاولتهم ، ولكنهم دائبون حريصون . ومن الأزهريين كثير من المشغوفين بالحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، حتى أصبح شغلهم الشاغل ، وهمهم الذى يتذاكرونه فى غدوهم ورواحهم ، وفى خلواتهم ومجتمعاتهم ، ولهم فى هذه السبيل نشاط مشكور .

* * *

وإذا كان فى مقال الأستاذ الشرقاوى ما يستحق العتب ، ففيه ، مايستحق المدح والثناء ؛ ذلك هو تصويره الأهداف العليا التى ينبغى أن يتجه إليها المصلحون للأزهر ، تصويراً جمع بين إشراق الديباجة ، ووجازة اللفظ ، وسرف القصد ونبل الغاية .

أرأيت إلى قوله « ... ليكون الأزهر قواماً على نهضة دينية ، أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق ، حتى يقاوم بها ما ينتاش العالم كله ، من إباحية والحاد ، » وقوله : وليستخرج فى الأزهر « طائفة من ارجال ، يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم » .

وكثير غير ذلك مما أطلع عليه القراء واستذوقوه واستمتعوا به .

أرأيت إلى هذا الكمال الذى يحرص الأستاذ الشرقاوى كل الحرص على أن يبلغه الأزهر ؟ ! ، وهل وراءه ما يمكن أن يطمع فيه طامع ، أو يأمل فيه آمل ؟ ! .

لكنى أعتب على الأستاذ الشرقاوى مرة أخرى ، حيث قد عدد أهداف الإصلاح العليا على نسق جمع بين حسن الأداء وصدق التوفيق ، ثم عقب قائلا « هذا هو الإصلاح الأزهر ، وهذه سبيله » .

حقاً إن هذا هو الإصلاح الذى تصبو إليه نفوس المخلصين ، ولكن أين سبيله ؟ ! . قرأت مقال الأستاذ الشرقاوى مرة وعاودته مراراً ، فوجدت فيه الإصلاح واضحاً بارزاً ، ولكن لم أجد فيه سبيله ؛ وهل سبيل ذلك إلا مشروع واضح المعالم بين الصوى ، يشخص مايتبغى أن تقوم عليه سياسة الأزهر العلمية : ما يتصل منها بالمعلم ، وما ينبغى أن يتوافر فيه من كفاية ومقدرة وما يتصل منها بالكتاب وكيف ينبغى أن يكون ، وبالدراسة وكيف تؤدى . وما يتصل منها بالطالب وماذا يشترط فيه ، وكيف